نداء

لشباب التلفزيون والإنترنت





جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي العيدروس (سعد)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَـدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهما بإحسان

أما بعد....

فلما رأيت عزوف الشباب عن القراءة والتعلم والاطلاع وانشغال الأكثرية منهم – إن لم نقل الكل – بالتلفزيون والانترنت وقضاء غالي الأوقات وأنفس الساعات في أمثال هذه الترّهات أحببت أن أوجه هذه النداءات لكل من يبددون أوقاتهم أمام القنوات في متابعة الفضائيات التي لا تعود بنفع ولا خير عليهم ولا على الأمة ،

سائلاً الله عز وجل أن يكتب بها النفع العميم وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف / محمد بن علوي العيدروس

تمهيد .....

قليلون هم الشباب الذين يهتمون بتنمية ثقافتهم العامة في عالم الفضائيات والإنترنت ، وكثير منهم من أهمل اقتناء الكتاب وترك القراءة جانباً متناسين بأن الكتاب هو الصديق الوفي في كل الأزمان ، وخير جليس للجميع وللباحثين عن المعرفة والثقافة .

فالكتاب نِعْم الأنيس ساعة الوحدة ، ونِعْم المعرفة ببلاد الغربة ، ونِعْم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل ، قال الشاعر :

أعزُّ مكان في الدنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

وهو الجليس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يغريك ، والرفيق الذي لا يملُّك ، والجار الذي لا يستبطيك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال بالكذب .

قال الجاحظ : الكتاب وعاء مُلِئَ علماً ، وظرف حُشِيَ طرفاً ، وإناء شُحِنَ مزاحاً ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء ، ولا ينام إلاَّ بنومك ، ولا ينطق إلاَّ بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة .

قال الشاعر :

نِعْم الأنـيس إذا خلـوت كِتـابُ   تلهـو بـه إن خانـك الأحبـابُ

لا مفـــشياً سراً إذا اســـتودعته   وتفـاد منـه حكمـةٌ وصـوابُ

قال ابن المعتز : الكتاب والج الأبواب ، جـريء عـلى الحجـاب ، فهيم لا يفهم ، وناطق لا يتكلّم ، يشخص المشتاق إذا أقعده الفراق .

هذا الكتاب الذي وصفوه لنا في القرن التاسع الميلادي أصبح في القرن الحادي والعشرين مهدداً بالإهمال ويعلوه الغبـار فـوق رفـوف المكتبات ،قل مـن ينقـب عنـه. لأن الفـضائيات والانترنـت والـسينما والإذاعة والأخبار اليومية والمجلات راحـت تنـذره،فالكتـاب مهـدد مستقبله لا بالمكروب ،بل بانصراف جماهير البشر عنه .

ثم إننا نقول:ما الفـرق بـين ثقافـة التلفزيـون والانترنـت وثقافـة الكتاب؟ بكلمات نجيب :

ثقافة التلفزيون عابرة آنية سريعة لا تستقر في أعماق النفوس ، وثقافـة الكتاب مطمئنة فيها قابلية الرسوخ وإمكانية الاستقرار .

قارئ الكتاب يقف في كل حين ليفكـر أو ليحـاول أن يعـود فيتنـاول الفقرة من جديد ،يقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة بل عاشرة .

إن ثقافة الراديو والتلفزيون تطبع الناس جميعاً بثقافة واحدة معينة لا تكاد تختلف من فرد إلى آخر ، أما الكتاب فهو يغذي الفردية المحررة ، فالرجل عندما يقرأ إنما يختار مادته ، وهو إذ يختارها يفلت من القوى التي تحاول أن تطويه تحت مذهب ما ....

أنا أقول أن تتركوا الراديو والتلفزيون ، بل اعتزلوها كل يوم ساعات لتقرؤوا أو لتفكروا إن أراد كل واحد منا أن يجد روحه وأن يقويها .

إن العلا حدثتني وهي صادقةٌ فيما تحدث أن العز في الكتبِ

لذلك فالاشتغال بالكتب من أولى ما تصرف فيه الأوقات.

النداء الأول (الجد والاجتهاد والهمة العالية)

مقامة الشيخ علي بن أبي بكر السكران

بالجد والاجتهاد تدرك غاية المراد وبالعزمات الصحاح يشرق مصباح الفلاح ، وما حصلت الأماني بالتواني ولا ظفر بالأمل من استوطأ فراش الكسل وإياك أن تقول : إن قُدِّر شيءٌ وصل وإن كان مقضيٌّ في الغيب حصل فبالحركات تحصل البركات وبالهز يسقط الثمر وأمُّ العَجْز أبداً عقيم . (١)

مقامة بديع الزمان

إن العلم بطيء اللزام ، بعيد المرام ،لا يدرك بالسهام، ولا يرى في المنام ،ولا يورث عن الآباء والأعمام، وإنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس ، ولا تحصل إلا باستناد الحجر ، وافتراش المدر ، وإدمان السهر، وقلة النوم وصلة الليل باليوم، ولا يدركه إلا من أنفق العين وجثا على العين .

أيظن أن من أشغل نهاره بالجمع وليله بالجماع يخرج من الفقهاء ؟ كلا ... والله حتى يقصد الدفاتر، ويستصحب المحابر، ويقطع القفار

---

١) من كتاب العرف العاطر للإمام عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس .

ويصل في طلب العلم بين الليل والنهار، ويوافق من الصبر مراً طيباً ومن التوفيق مطراً صيِّبا) ١ هـ ..

العين تطلق على العين المبصرة وقد تطلق على الركبة .

مقامة الماوردي

لا يدرك العلم من لا يطيل درسه ، ويكدّ نفسه ، وكثرة الدرس كدودٌ لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنماً والجهالة مَغرمَاً ، فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرة الجهل فإن نيل العظيم بأمرٍ عظيم وعلى قدر الرغبة تكون المطالب ، وبحسب الراحة يكون التعب. (١)

ويقول أيضاً : وينبغي للإنسان أن يتصفح في ليله قبل أن ينام كل ما صدر من أفعال نهاره ويحاسب نفسه ، ما فعل من الخير ؟ وما ارتكب من الشر ؟ كم طالع وكم قرأ ؟ فإن الليل أخطر للمخاطر وأجمع للفكر فإن كان ما فعله محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه ، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل .

وهكذا يحكي لنا الماوردي تجربة الخبير في الحياة لمن أراد بلوغ المعالي ونيل الدرجات والسعيد من اتعظ بغيره .

---

٢) من أدب الدين والدنيا للماوردي .

مقامة ابن الجوزي

(ما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها ، واعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب ، فلا تخلد إلى الكسل فما فات ما فات إلا بالكسل ولا نال من نال إلا بالجد والعزم وإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور) .

ويقول عن نفسه : خلقت لي همة عالية تطلب الغايات بلغت السن وما بلغت ما أمّلت فأخذت اسأل تطويل العمر وتقوية البدن وبلوغ الآمال ، فأنكرت علي العادات وقالت : ما جرت العادة بما تطلب .

ويصف لنا همم العلماء القدماء فيقول : (كانت همم القدماء من العلماء عليّة تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم إلا أن أكثر تصانيفهم دثرت لأن همم الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات ، ولا ينشطون للمطوّلات ثم اقتصروا على ما يدرسونه به من بعضها فدثرت الكتب ولم تنسخ .

فميّز منها (السبب) (طِقْ) من (الوتد) (طِطِق)، وطبّق ذلك على شعر العرب ووضع هذه الأوزان .

وكان في هذه المكتبة عشرون نسخة مخطوطة من تاريخ الطبري ، نسخة بخط الطبري نفسه ، وفيها مائة نسخة من (الجمهرة) لابن دريد ، وكل ذلك في عهد لم تكن عرفت فيه المطابع ولا الطابعات .

المكتبة الإسلامية في اسطنبول كما نقلوا من مائتي ألف مخطوطة جلبها العثمانيون من العواصم الإسلامية ، وفي شمال إفريقيا مائتا ألف مخطوطة في مكتبات القيروان وفاس وحواضر الشمال الإفريقي المسلم ، وفي مصر ثمانون ألف مخطوطة ، وفي موريتانيا واليمن وغيرهما ، ونستثني من ذلك كله أنه قد ذهب جُل هذه المخطوطات ، ولم يبق منها إلاّ الأقل الأقَل .

هذه المكتبة التي أصابتها المصائب وحاقت بها النكبات كنكبة المغول لما انحدر عليها سيلهم المدمر من أقصى الشرق ، فجرف في طريقه مظاهر العمران وثمار الفكر ، حتى وصلوا إلى هذه المكتبة فألقوا من جهلهم كتبها في نهر دجلة ، يمرون عليها يتخذونها جسراً ، حتى نقلوا أن ماء دجلة قد اسودَّ مسافات مما ذاب فيه من المداد والحبر ، بل من حصاد الأدمغة ونتائج العقول .

ولما دخل الأسبان الأندلس أحرقوا مكاتبها حتى صار ليلها نهاراً من اللهب ، وحسبكم مما تعرفوا أن واحدة من مكتبات قرطبة كانت فهارس دواوين الشعر فيها كما يقول ابن خلدون أربعة وأربعين دفتراً كبيراً فهارس دواوين شعر فقط أحرقها الأسبان ، ومما أحرق ابن تاشفين من كتب الفلسفة التي تخرج عن الفقه والتفسير والحديث غيرة منه على الدين ، وزعماً أنها تضعف إيمان المؤمنين ، فذهب بآلاف من الكتب ، هذا عدا ما أصابها من النكبات الفردية من التحريق والتخريق والتمزيق ، وبيعت مرة تركة عالم في دمشق بالمزاد وكانت عنده كتب كثيرة ، فجرد أولاده الكتب المطبوعة المجلدة فاحتفظوا بها ، ثم أشعلوا النار بالباقي ، فانظر يا أخي القارئ إلى كثرة الكتب التي ذهبت ، والجهود والهمم التي بذلت .

لقد اطلع عالم تركي على طرف من هذا التراث ، وهو حاج خليفة صاحب كتاب كشف الظنون ، فوصف في كتابه العظيم ما اطلع عليه ، فكان نحو عشرين ألف كتاب .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن مكتبة الخليفة الفاطمي لما استولى عليها صلاح الدين الأيوبي كانت كتبها تقرب المليون .

إن من هذه الكتب ما لا يستطيع الواحد منا أن يقرأها ، فكيف إذا حاول أن ينسخها ، فكيف وكثير منها أملاها مؤلفوها إملاءً لأنهم كانوا مكفوفي البصر (كالمخصص) لابن سيده أوسع كتاب في اللغة أملاه إملاءً ، وقد طبع في سبعة عشر جزءاً من الأجزاء الكبار ، و(الاستيعاب) لابن عبد البر أملاه إملاءً وهو ضرير لا يقدر أن يأخذ من الكتب ، و (المبسوط) أوسع كتاب في الفقه أملاه مؤلفه وهو محبوس في الجب تحت الأرض ، لكلمة حق قالها عند حاكم ظالم ، فكان تلاميذه يقفون في الطريق يستملون ويكتبون ، وهو يملي عليهم من بطن الجب ، ما عنده كتاب ينظر فيه ، ولا مرجع يرجع إليه ، وقد بين ذلك في كتاب العبادات في آخر باب الإقرار .

والطبري كان يريد أن يجعل تاريخه في ثلاثين ألف ورقة ، فسأل تلاميذه فاستكثروه ، فجعله في ثلاثة آلاف وقال : وا أسفاه ، لقد كلَّت الهمم عن طلب العلم .

وقاضي مصر بكّار بن قتيبة لما سجنه ابن طولون وطال سجنه سأله طلاب الحديث أن يأذن لهم بالسماع منه ، فكان يحدثهم وهو في السجن يأخذون عنه من وراء الباب .

وابن تيمية كتب كثيراً من رسائله وهو في السجن ، وابن سينا ألَّف رسالته عن القولنج (مرض معوي مؤلم) ، ورسالة حي بن يقظان كتبهما وهو سجين ، بل إن الكتاب العظيم لابن سينا وهو (الشفاء) الذي بقي الأساس في دراسة الطب في جامعات أوربا إلى ما قبل أربعمائة سنة ألفه وهو هارب متنقل في البلدان متوارٍ عن الأبصار ، بل لقد أُلِّفت في عصرنا هذا كتب كبار كشرح القاموس للزبيدي ، وكتاب الأعلام للزركلي ، ومجموعة فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظُهر الإسلام لأحمد أمين ، تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي العراقي ، وشرح الكامل للمرصفي ، ولقد حدَّث أحد تلاميذه أنه دخل عليه يوماً وكان يسكن غرفة مقفرة من دارٍ خربة في حيٍّ قديم من أحياء القاهرة يضل ماشي في أزقَّته ، ويغوص في وحله ، لأنه كان من فقره لا يجد غير هذا الدار ، فوجده قاعداً على حصير بالي مفروش في وسط الغرفة ليس فيها سواها ، وأمامه الكتب منشورة ، والصحائف منشورة ، وحول الحصير خيط من الدبس مصبوب على الأرض ، فسأله : ما هذا الدبس يا مولانا ؟ فضحك الشيخ وقال : إنه سور يحميني من هجمات البق !.

وأكثر القراء لم يعودوا يعرفون - بحمد الله – ما هو البق الذي كنا نقاسي منه ونحن صغار ، لا نملك له دفعاً ولا نعرف دواء ... في هذه الغرفة العارية على هذه القطعة من الحصير ألَّف الشيخ كتابه العظيم (شرح الكامل للمبرِّد) ، وهذا الكتاب من الكتب التي يفاخر بها عصرنا العصور الخوالي .

ولا تزال في المكتبات العامة والخاصة عشرات بل مئات من المخطوطات في دار الكتب المصرية وفي المكتبة الظاهرية في الشام ، وفي مكتبات اسطنبول وبغداد ، وفي مكتبة باريس وفي مكتبة المتحف البريطاني وفي أسبانيا وفي مكتبة عارف حكمة المدينة ، وفي مكتبات فارس في المغرب وفي ليد في هولندا وفي مكتبة بوسطن في أميركا .

وفي المكتبات الخاصة آلاف أخرى من أكبرها مكتبة أحمد تيمور باشا الذي تعقّب كتب التاريخ خاصة ، فكان يشتري الكتاب منها بوزنه ذهباً إن لم يستطع شراؤه بأقل من ذلك ، ومكتبة أحمد زكي ومكتبة عبد الحي الكتّاني وهي من أغنى الكتب في التاريخ ، ومكتبة أنستاس الكرماي وغيرهم كثير .(١)

١) من فصول الطنطاوي صـ٨٩ إلى ٩٧ بتصرف .

يقول الشاعر :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ويقول الآخر :

من كان يسأم فالنجاح بعيدُ وعليه إدراك الفخار شديدُ

من لا يواصل ليله بنهاره طلباً لما يبغي فليس يسودُ

وكان الإمام زين العابدين يصلي كل ليلة ألف ركعة وكان الإمام السقاف يقرأ أربع ختمات في الليل وأربع في النهار ، ويذكرون عن وكيع بن الجراح أحد التابعين أنه منذ أربعين سنة لم تمس ظهره الأرض ، وكان الإمام الشافعي إذا سمع بمن يروي حديثاً يرحل ويقطع المسافات الطويلة حتى يسمعه منه ولو كان حديثاً واحداً .

وكان سيدي عبد الله باحسين السقاف علوي : ورده كل يوم من (لا إله إلا الله) وهو ابن سبع سنين سبعين ألف .

وكان سيدي محمد البناء كتب عن ستمائة شيخ وكان يختم كل يوم مع العمل ختمة.

ـ وكان الإمام محمد الباقر يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة.

ـ وكان الإمام أبو حنيفة يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يختم القرآن في كل ركعة مدة ثلاثين سنة .

وقد حكى بعضهم أنه يطالع لوحه تقريباً خمساً وعشرين مرة ومنهم أقل ومنهم أكثر ..

وكان الشيخ محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ الأعظم يطالع قراءته بالليل فيستغرق نصفه أو جله وربما استغرق الليل كله ..

وحكي أنه احترق عليه بالسراج (بالشمعة) ثلاث عشرة عمامة عند مطالعته لشدة استغراقه فيها ولذلك سمي (صاحب العمائم).ا.هـ (١)

يقول المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائمُ

ويقول الإمام الحداد :

وبالجد والصبرِ الجميل تحل في فسيح العلا فاستوصِ بالجدِ والصبرِ

١) من عمل اليوم والليلة

وقد ذكر الإمام الحداد في هذا البيت شرطين للنجاح في أي أمرٍ سواءً كان دنيوياً أو أخروياً وهما الجد مع الصبر .

قال الشاعر :

إذا رأيت شباب الحي قد نشأوا   لا يحملون قلال الحبر والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق   يعون من طيب الأخبار ما اتسقا
فدعهم عنك واعلم أنهم همج   قد بدلوا بعلوِّ الهمة الحمقا

وقال حافظ إبراهيم :

فتجشموا للمجد كل عظيمة   إني رأيت المجد صعب المرتقى

وقال آخر :

بقدر الجد تكتسب المعالي   ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً   يغوص البحر من طلب اللآلي
ومن رام العلا من غير كد   أضاع العمر في طلب المحالِ

وقال آخر :

هي الهممُ القعساءُ للمرء سلمٌ   بها يرتقي أوج الكمال ويصعدُ

ويقول الإمام الشافعي :

همتي همة الملوك ونفسي   نفس حرٍّ ترى المذلة كفراً

ـ وعن أبي يوسف قال : مات لي ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبي حنيفة خوفاً أن يفوتني منه يوم .

قال الشاعر :

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهلُ
أجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً فندامة العقبى لمن يتكاسلُ

وقال آخر :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

قال المتنبي في الحض على طلب المعالي :

إذا غامرت في شرف مرومٍ فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

وقد قيل في منثور الكلام : من لزم الرقاد ، لم ينل المراد .

قال الإمام الشافعي :

ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاتِه

وانظر يا أخي ... مع استغلا لهم الكامل لأوقاتهم وأعمالهم الكبيرة وهممهم العظيمة وجدهم واجتهادهم ، ومع ذلك يشعرون بالتقصير وهذا الإمام الحداد يقول :

تفيض عيوني بالدموع السواكب   ومالي لا أبكي على خير ذاهبِ
على العمر إذ ولى وحان انقضاؤه   بآمال مغرورٍ وأعمال ناكبِ

إلى أن قال :

ولو أنني أبكي الدموع وبعدها   الدماء على ما فاتني يا معاتبي
لكان قليلاً .. ارجع يا أخي إلى هذه القصيدة فسترى العجب ومع ذلك كله كان بعد ما ينهي درسه يركع مائتين ركعة .

وهذا نموذج آخر وهو الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر يقول : (يا رب ما معنا عمل وكسبنا كله زلل) ومع ذلك كان ورده في اليوم لا إله إلا الله (٢٥٠٠٠) مرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٥٠٠٠) مرة مع أعماله الأخرى من تدريس وتأليف وقراءة قرآن ونوافل وغيرها.

ألا يكفيك أخي القارئ كل هذه الأخبار عن أولئك الأحبار أولي الهمم الكبار أن تستيقظ من نومتك وتنهض من غفلتك .

النداء الثاني: ملكة الحفظ والذكاء

قد يكون للمدنية الحديثة وما أنتجته من وسائل الرفاهية وما طرأ على الحياة من تعقيدات وكثرة مشاغل ، تأثير على الذكاء وملكة

الحفظ لدى الإنسان نتيجة تشتت الذهن وتراكم الأحداث وزحمتها في العقل ، قديماً كان العربي سريع الحفظ حاضر البديهة ، متوقد الذهن ، مصقول الفكر ، نقي القلب ، وكان من عادة العرب إرسال أبنائهم إلى البادية لطيب هوائها ونقاء جوها وبدائية حياة أهلها ، لبعدهم عن ضجيج المدينة ، وصخبها ولغطها فينشأ الصبي صافي الذهن حاد الذكاء فيحفظ ما يسمع ولا ينسى ما حفظ ، ونعلم أنَّ نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم قد استرضع في بادية بني سعد جرياً على عادة قومه في إرسال أبنائهم .

فالذاكرة نعمة من الخالق جل وعلا ،وأفضل استخدام لها هو حفظ كتاب الله تعالى،والآن هل تريد أن تتمتع بذاكرة قوية؟لنستمع في إجابة هذا السؤال إلى نصائح علماء الأمة الذين عرفوا بذاكرة حديدية ،فمن نصائحهم :

ـ تقوى الله وترك المعاصي والمخالفات ،يقول الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ** فأرشدني إلى ترك المعاصي

ـ النية الخالصة لله عز وجل في طلب العلم ،وقد جاء عن أحد السلف أنه شرب ماء زمزم بنية قوة الحفظ فحصل له ذلك .

ـ الدعاء وطلب العون من الله في طلب العلم والفهم والحفظ .

ـ كثرة ذكر الله عز وجل ،قال تعالى :واذكر ربك إذا نسيت .

ـ الفهم والعمل من أهم وسائل الحفظ ،قال الشعبي:كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به .

ـ الاهتمام والتركيز على ما تريد حفظه ،قال البخاري :لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل .

ـ الأخذ بأسباب صحة الجسم وتناول الأغذية الصحية التي تعين المخ على القيام بعمله بشكل جيد ،قال الزهري :عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ والذاكرة .

ـ التعود على الحفظ وجعله من السمات الملازمة لشخصيتك ،وأول الحفظ شديد يشق على الإنسان ثم إذا اعتاد سهل .

وأذكر هنا بعض النماذج الفريدة والعجيبة من الحفاظ والأذكياء:

قال الأصمعي : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب .

ـ وكان أحدهم يحفظ كتاب الأغاني للأصفهاني وهو واحد وعشرون جزءاً وقال إنه من أقل محفوظاته .

ـ ولما توجه أبو مسعود الرازي إلى أصبهان ، أملى على تلامذته مائة ألف حديث عن ظهر قلبه .

ـ وذُكر أن الخوارزمي حفظ كتاب الأمثال لأبي عبيدة في ليلة ، وروي أنه قرئ عليه أوراق من حساب البقالين فأعادها .

ـ وهذا أبو ضمضم كان كبير السن أنشد لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو !

ـ ويروى أن الشعبي كان يقول : لو أن رجلاً حفظ ما نسيت كان عالماً .

ـ وقال مرة : لست لشيء من العلوم أقل رواية مني للشعر ، ولو شئت لأنشدت شهراً ولا أعيد بيتاً !!

ـ وقال : ما كتبت سوداء في بيضاء إلا حفظتها ! .

ـ وقال أبو نواس : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة ، منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال .

ـ كان الشعبي والزهري يقولان : ما سمعنا حديثاً قط وسألنا إعادته . ومن هنا كثر العلماء وتسابقوا في الحفظ حتى لقد جعل علماء الحديث مراتب وألقاباً لا تمنح لشخص إلا إذا حفظ كمية منها : (فالحافظ) : من حفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ، ووعى ما يحتاج إليه . و (الحجة) : من أحاط بثلاثمائة ألف حديث .

و (الحاكم) : من أحاط علمه بجميع الأحاديث النبوية المروية متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً وتاريخاً .

(أمير المؤمنين) : من أحاط بجميع المرويات ترى هل هذه عقول بشر ، أم (أجهزة كمبيوتر) تخزن فيها هذه المعلومات فلا تتبدد أو تضيع أو تنسى !

إننا الآن نعيد النص أو القصيدة مرات ومرات ونحفظ ونتعثر ونقوم ونكبو فإذا ما أدينا الغرض الذي حفظنا من أجله (تبخرت) المعلومات وأصبحت في خبر (كان) . (١)

- بينما كان إمام الحرمين يحفظ من كلام شيخه أبي بكر الباقلاني (١٢٠٠٠) ورقة في علم الأصول فقط .

- وكان ا لإمام محمد بن جرير الطبري الذي ادَّعى الاجتهاد المطلق بعد الإمام الشافعي يحفظ من العلم وقر ثمانين بعيراً – أي حمل بعير – من جملتها ٧٠٠ تفسير .

- وصنَّف ابن شاهين الحافظ (٣٣٠) مؤلفاً ، منها تفسيره للقرآن في ألف مجلد ، ومنها المسند (١٦٠٠) مجلد ، وذكروا أنه حاسب الحبَّار الذي يأخذ الحبر منه للكتابة أواخر عمره فبلغ (١٨٠٠) رطل .

١) من صفوة الأخبار صـ ٣٦ ، ٣٧ .

- هل تعلم يا أخي أن هؤلاء كانوا لا توجد عندهم طابعة ولا إنترنت ولا شيء من وسائل الكتابة المعاصرة ، بل كانوا يكتبون بالأقلام الخشبية (القصبي) مع الحبر ، بل كانوا يكتبون في العظام والجلود وغيرها .
- وذكروا أن الجنيد بن محمد كان يفتي في محضر شيخه وهو ابن عشرين سنة .
- وحمل الناس العلم عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمانية عشر سنة .
- وذكروا أن الإمام سفيان بن عيينة حفظ القرآن وحاجَّ في معانيه بمحضر من العلماء عند الخليفة وهو ابن أربع سنين (صَدِّق أو لا تُصَدِّق) !! متى قرأ القرآن ، ومتى حفظه ، ومتى تعلَّم معانيه ؟؟.
- وذكروا أنَّ الليث بن سعد كان يحفظ شحنة مركب من الكتب ، وكان تاجراً يبيع ويشتري وحاصله كل يوم ألف دينار ولا وجبت عليه الزكاة ، سأله سائل فأعطاه ألفاً ، فبلغ ذلك الخليفة ، فدعاه وقال له : كيف هذا العطاء وأنا خليفة ولا أفعل مثلك ؟ فقال له : إني أستحي أن أعطي سائلاً أقل من دَخْل اليوم .

- وكان لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة ثلاثمائة وكيل ، انظروا إلى دنياهم ما قطعتهم عن ربهم . والآن إن راح يطلب العلم سيَّب دنياه ، وإن راح يطلب الدنيا أعطاها وجهته وقفَّى بربه .

ولا بأس على الإنسان إذا أصلح سبب معاشه ولم يشغله عن إصلاح أمر دينه .

يا أخي هل يصلح لطالب العلم منَّا أن ينام بالنهار أو ينام قبل نصف الليل ، أو ينقضي عمره ما قرأ كتاباً كاملاً نافعاً أو يطالع كتاباً ولا يحضِّر مواده ويعلقها كلها في ذهنه .

ويقول الحبيب علي الحبشي : كانت سفينة شيخنا أحمد دحلان أربعمائة كراس كلها بخطه ، وأما بغيره فهي ثمانمائة كراس كلها مصنفات . وكنا نحضر عنده بعد صلاة الصبح للقراءة في تفسير البيضاوي ، وعليه حاشية الشيخ زاده ، فلا يأتي إلاَّ والتفاسير معلقة في ذهنه يسرد العبارة من التفسير الكبير من حفظه .

- ذكروا أن ابن الحاج نظم كتاباً في المنطق وهو ابن ست سنين ولما أكمله قال في آخر أبياته :

ولابن نحو السّت عذرٌ يحتمل

عذر وأي عذر ، متى تعلَّم ومتى نظم ؟!!

قال أبو بكر بن شهاب :

وعـذر مـن لم يبلـغ العـشرينا   يُقبَـلُ عنـد النـاس أجمعينـا

ومثله الخضري الذي نظم السُلَّم في المنطق قال :

ولبني أحدى وعـشرين سـنة   معـذرةً مقبولـةً مستحـسنة

- أهلنا جدُّوا في طلب العلم على قلة ذات اليد ونحن الواحد مننا تمره وطعامه ورزه في داره ولا يطلب العلم .
- وكان الحبيب علوي بن سهل يكتب لوحه من الإرشاد في الشريم .
- وذكروا أن الإمام يونس بن عيينة خرج من بغـداد ، وخـرج يودِّعـه أربعمائة عالم ما بين محدِّثٍ ومؤرِّخٍ ومفسِّر ، فلـما أرادوا توديعـه بكـى وبكوا ، وقال لهم : إني لم أفارقكم قالياً لكـم ، والله لـو وجـدتُ نحـو المدَّين من الطعام كل يوم ما فارقتكم . فلم يقـل لـه أحـدٌ مـنهم عـلى ذلك لأنهم كانوا مثله فقراء .
- وأخذ الشيخ ابن حجر أربع سنين في مصر ما يذوق اللحم ، وكـان اللحم فيها رخيصاً – الثمانية أرطال بمحلَّق والمحلَّق نحو ثمانية ريـال وأنتم في حضرموت لا معكم سبب دنيا ولا أحكمـتم أمـر الآخـرة ، يعبر على الإنسان نهاره من مقعد إلى مقعد على غير فائدة .

- قال : لما طالعت كتاب (خلاصة أهل الكمال في تراجم الرجال) رأيت في ترجمة رجل : كان يحضر درسه عشرة آلاف نَفْس فتعجَّبت ، ثم رأيت في ترجمة رجل آخر : يحضر درسه خمسين ألف ، فزدت تعجباً ، وقلت : إش هذا الصوت الذي يبلغهم ، ثم رأيت في ترجمة رجل آخر : كان يحضر درسه سبعين ألف ، ثم رأيت في ترجمة سفيان بن عيينة الذي - سبق ذكره - انه كان يحضر درسه مائة ألف أو أكثر ، وتعجَّبت غاية الإعجاب وقلت : أش هذا الصوت الذي يبلغهم وكأنه يملي عليهم وهو مرتفع على شيء .
- وذكروا أن سيدنا علي الرِّضا لما دخل نيسابور وشقَّ سوقها ، وعليه مظلَّة لا يُرى من ورائها ، تعرَّض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة ا لعلم والحديث ما لا يحصى ، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه ، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلَّة ، وأقرَّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة ، فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه ، والناس بين صارخٍ وباكٍ ومتمرِّغٍ في التراب ومقبل لحافر بغلته ، فصاحت العلماء: معاشر الناس ، أنصتوا فأنصتوا ، واستملأ منه الحافظان المذكوران فقال :

حدَّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعتُ رب العزة يقول :

(لا إله إلا الله حصني من قالها دخل حصني ومن دخل حصني أَمِنَ من عذابي) . ثم أرخى الستار وسار ، فعُدَّ أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون فزادوا على عشرين ألف .

- بلغنا أن السيد أحمد بن إدريس اليمني أنه قال : طالعت ستمائة تفسير فما شفت لي غليلاً حتى فتح الله عليَّ بالفتح الكبير في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ ، انظروا إلى هذه الهمة والعشقة !! متى جَمَّع هذه التفاسير ؟ وكيف تيسَّر له جمعها وقراءتها مع أنه مشهور بالذكر لا بهذا الفن ، وهو متأخر اجتمع به الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب أحمد الجنيد ،قال ولما وصلنا عند السيد أحمد بن إدريس – المذكور – قرأت عليه في الرشفات ، فتكلَّم على كل بيت منها بآية من القرآن وحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم !! إيش هذا الإدراك والفهم والحفظ ؟؟ .(١)

---

١) انتهى كلام السيد العلامة علي بن محمد الحبشي . جمعه السيد : محسن السقاف صـ٣٧، ٣٨ .

يذكر الشيخ علي الطنطاوي في فصوله قصة يقول فيها : جاءني مرة طالب يشكو مرَّ الشكوى من كثرة ما كلف بحفظه من الشعر العربي ، قلت فما الذي كلفت به ؟ قال : كلفت بحفظ مائتي بيت في السنة . ولما قال (مائتي بيت) ضخم صوته ورفع حاجبيه وفتح عينيه وضغط على الحروف كأنه يأتي بإحدى المعجزات . فقلت له : إن حماد الراوية كان يحفظ أكثر . قال : ومن حماد الراوية . قلت :
وجهلك به أعجب ، حماد كان في العراق فأبلغه والي العراق أن الخليفة هشام بن عبد الملك يدعوه لأمر مهم ، وبعدما قضى حاجته سأله الخليفة : كم تحفظ يا حماد من الشعر ؟ قال : لا أدري يا أمير المؤمنين ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة لمائة شاعر معروف .

قال : هات ، فأنشده حتى مل الخليفة ، فوكل به من يسمع منه . فأنشده من حفظه ألفين ومائتي قصيدة فإذا كان في كل منها عشرون بيتاً على الأقل فهذه أربعة وأربعون ألف بيت .. وأنت تستكثر مائتي بيت !

ـ وحفظ المحدثين أعجوبة ، ومنهم كالدار قطني ـ من يحفظ مائة ألف حديث بسندها . هل تعرف ما هو السند ؟ هو طريق رواية الحديث أي قولهم : حدثنا فلان عن فلان ... ومنهم من يحفظ من أسماء الرواة العشرة الآلاف وأكثر من ذلك ومنهم من يسمع عشرات الأحاديث فيحفظها من مرة .

ـ لما جاء الشافعي إلى مالك وقعد في حلقته كان مالك يملي والطلاب يكتبون ، ولم يكن مع الشافعي قلم ولا ورق ، فجعل يبلّ إصبعه بريقه ويكتب على ذراعه . يصنع ذلك ليثبت الأحاديث في ذاكرته ورآه مالك فحسبه يهزأ به فقال له :إنما أكتب ما أسمع لأحفظه وإن شئت أعدته عليك . قال : أعده ، فأعاد الدرس كله .

ـ وقصة البخاري في بغداد أعجب لما جاء البخاري بغداد وقعد للدرس أراد بعض المحدثين أن يختبروا حفظه فجاءوا بمائة حديث خلطوا متونها بأسانيدها أي أنهم جعلوا سند هذا المتن لذاك وسند ذاك لهذا ثم جاءوا بعشرة أشخاص فحفظوا كل واحد عشرة من الأحاديث المخلوطة ، فلما قعد البخاري في الدرس قام أولهم فسأله ما تقول في حديث كذا وسرد عليه أحد الأحاديث المخلوطة ، فقال : لا أعرفه فسأله عن الثاني والثالث والعاشر .. وهو يقول لا أعرفه ، وقام

الرجل الثاني فصنع مثله والثالث والرابع ... حتى عرضت عليه الأحاديث المائة وهو يقول : لا أعرفها وتعجب الناس وظن العامة أنه رجل جاهل لأنه يسأل عن مائة حديث فلا يعرف منها شيئاً . فلما فرغوا قال البخاري للرجل الأول : قم فقام ، فقال له :

الحديث الأول الذي سألتني عنه رويته كذا وجوابه كذا ، والثاني والثالث . حتى أعاد الأحاديث المائة بخطئها وصوابها ..

وليس العجيب حفظه الصواب بل العجيب حفظه الخطأ .

وأغرب من هذه القصة قصة أبي العلا المعري رواها المؤرخ الثقة ابن العديم قال : كان المعري في مسجده ، وكان إلى جنب المسجد روميان يتكلمان بلسان الروم (وهو لا يعرفه) ، ثم اختلفا على شيء ورفعا الأمر إلى القاضي ، فطالب أحدهما بالبينة فقال له : ما كان معنا أحد ولكن كان في المسجد شيخ يسمع كلامنا فادع به فدعا القاضي بالمعري وسأله ، فقال المعري : أنا لا أعرف ما قالا ولكن أعيد عليك ألفاظهما .وأعادها بالرومية ! .

- وقصة المتنبي لما وقف يشتري كتاباً صغيراً فجعل ينظر فيه ، فقال له البائع : إن كنت تريد أن تشتريه فهات الثمن وإن كنت تريد حفظه فإنك لا تستطيع أن تحفظه في وقفة ، قال : ماذا يكون منك إن

كنت قد حفظته . قال البائع : إن حفظته فهو لك . قال : خذ فانظر وقرأه عليه ، وإذا به قد حفظه .

ـ يقول الغزالي : من أساتذتي الذين استفدت منهم قاطع طريق ، خرج علينا مرة فأخذ كل ما في القافلة وأخذ من ضمنها تعليقتي (وهي دفتر المذكرات التي كان يكتب فيها ما يسمعه من العلماء) . قال : فجعلت أتوسل إليه وأقول : أنا لا آسف على مال ولا متاع ولكن تعليقتي قال له : وما تعليقتك ؟ قال الغزالي : دفتر فيه علمي كله . فضحك عليه قاطع الطريق وقال : ما هذا العلم الذي يذهب منك إن ذهب دفتر ؟! قال الغزالي : فانتبهت لهذا الدرس وجعلت أحفظ كل شيء أسمعه لئلا يذهب إن ذهب الكتاب .

علمي معي أينما يممت يتبعني
صدري وعاءٌ له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
وإن كنت في السوق كان العلم في السوق

ومن هنا قالوا :

ليس بعلمٍ ما حوى القِمَّطرُ ... ما العلم إلا ما حواه الصدرُ [1]

---

١) كان من كتاب فصول في الثقافة والأدب علي الطنطاوي صـ١٧٣ .

وكان الإمام الشافعي يوصف بقوة الحفظ وسرعته حتى أنه كان من قوة حفظه يضع يده على الصفحة الأخرى حتى لا يحفظهما معاً .

وهذا بديع الزمان الهمذاني أحمد بن الحسين المتوفى عن أربعين سنة كان آية من آيات الله في قوة الذكاء وسرعة الحفظ وصفاء وقوة النفس صاحب عجائب وغرائب وبدائع منها أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط وهو أكثر من خمسين بيتاً فيحفظ القصيدة كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً ، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق في كتاب لم يعرفه ولم يره نظرةً واحدةً خفيفةً ، ثم يهزها عن ظهر قلبٍ هزاً . وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها ، وكان يقترح عليه قصيدة وإنشاء رسالة في معنى بديع وبابٍ غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة ، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره ثم هلمَّ جرّاً ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ! وكان بديع الزمان سعيد النورسي يشبهه في جملة من هذه الصفات . (١)

- ذكروا أن الإمام الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطّأ وهو ابن عشر سنين ، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وأذن له في الإفتاء يعني الاجتهاد وهو ابن خمس عشر سنة ، ثم لازم مالكاً بالمدينة وأذن له في الإفتاء أيضاً . (٢)

---

١) من كتاب صفوة الأخبار صـ ٦٨٤ـ .

٢) من حاشية الباجوري صـ ٢٧ .

ـ ذكروا أن الإمام النووي كان منذ نعومة أظفاره يكره اللعب ويقرأ القرآن ومكث قريباً من سنتين لا يضع جنبه على الأرض ، وكان له في اليوم والليلة اثني عشر درساً ، ومثله كان الحبيب عبد الرحمن المشهور .

ـ وذكروا أن الإمام محمد صاحب العمائم كان يحفظ التنبيه والمهذب في الفقه . والإمام عمر المحضار كان يحفظ المنهاج للنووي وكان يحفظ الحقائق للسلمي في التفسير .

ـ ذكروا أن الإمام عبد الرحمن بلفقيه علامة الدنيا كان يقول : (إن الله منحني ثلاثين علماً وجدت الناس جميعاً يتعاطون أربعة عشر علماً وستة عشر علماً ما سئلت عنه . وكان يدخل عليه الداخل فلا يراه من كثرة الكتب المحيطة به) .

- كان الأمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث (يعني مليون حديث).

- وكان كثير من الذين نذكرهم يحفظ من أول مرة ومن ثاني مرة منهم الحبيب ابن عبيد الله السقاف فانه كان أذا سئل يقول ارجع الى كتاب كذا صفحة كذا سطر كذا. ومنهم الحبيب عابدين الجنيد فانه تذكر له قصة في احدى المبارزات الشعرية التي كان يعملها الحبيب عبد الله الشاطري لغرض التسلية والتشجيع فانه كان في أثناء الجلسة قام احد الشعراء قليلاً فقام الحبيب عابدين ونظر إلى قصيدة هذا

الشاعر وحفظها من أول نظرة ثم قام وألقاها كاملة بدون غلط ففجع صاحب القصيدة منه وأصبحت نكتة المجلس.

قال الشاعر :

فتجـــشموا للمجـــد كـــل عظيمـــةٍ
إني رأيـت المجـد صـعب المرتقـى
من رام وصل الشمس (١) حاك خيوطها
ســـبباً إلى آمالـــه وتعلقـــى

وقال آخر :

لا تحسب المجد تمراً أنـت آكلـه   لن تبلغ المجد حتى تلعق الـصبرا

وقال غيره :

لولا المشقة لـساد النـاس كلهـم   الجـود يفقـر والأقـدام قتـال

وقال آخر :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطـرا   ولا ينـال العـلا مـن قـدم الحـذرا
ومـن أراد العـلا عفـواً بـلا تعـب   قضى ولم يقض من إدراكها وطـرا
لابـد للـشهد مـن نحـل يمنعـه   لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا
لا يبلـغ الـسؤل إلا بعـد مؤلمـة   ولا تـتم المنـى إلا لمـن صـبرا
ولا ينـال العـلا إلا فتـى شرفـت   خصاله فأطاع الـدهر مـا أمـرا!

١) أخطأ الشاعر هنا لأن الشمس الوصول إليها من المستحيلات والأولى به أن يقول : من رام وصل البدر حاك خيوطه.

قال المتنبي :

ولم أر في عيــوب النــاس عيبــاً كــنقص القــادرين عــلى الــتمام

وقال آخر :

إذا مــر بي يومــاً ولم أتخــذ يــداً فلم أستفد علماً فما ذاك من عمري

وقال أحمد شوقي :

العلم يغرس كل فـضل فاجتهـد ألا يفوتـك فـضل ذاك المغـرس
واعلـم بـأن العلـم لـيس ينالـه مـن همـه في مطعـم أو ملـبس
إلا أخـو العلـم الـذي يزهـو بـه في حالتيـه عاريـاً أو مكتـسى
فاجعل لنفسك منـه حظـاً وافـراً واهجر له طيـب الرقـاد وعـبس
فلعل يوماً إن حـضرت بمجلـس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

حكم

- ☐ يقولون : (همم الرجال تذلل الجبال) .
- ☐ غزو الإنسان لنفسه هو أعظم غزو يحققه الإنسان في حياته .
- ☐ إن أعجب لشيء فعجبي لشباب تكبر أجسامهم وتصغر عقـولهم ولا تكبر هممهم .
- ☐ إذا أردت أن تنجح في حياتك فاجعل الكتاب صديقك الحمـيم ، والقراءة مستشارك الحكيم .
- ☐ ويقولون : قل لي ماذا تقرأ أقول لك من أنت .
- ☐ قال بعض الحكماء : يعجبني الشاب الذي فيه نكهة من الـشيوخ ويعجبني الشيخ الذي فيه نكهة من الشباب .

- لو صور العلم لأضاء معه الليل ولـو صـور الجهـل لأظلـم معـه النهار .
- يصل إلى البحر من يمشي مع النهر .
- من أحب الفرح فليحب التعب .
- من قال لا أقدر أقول له حاول ومن قال لا أعرف أقـول لـه تعلـم ومن قال لا أتوقع أقول له تفاءل ومن قال لا أظن أقول له جرب.
- سأل تلميذ شيخه : لم لا تعتني بتسريح لحيتك ، فرد عليـه : وهـل أنا فارغ أو قال إذاً أنا فارغ .
- يقول الكاتب عباس بن محمود العقاد : (اقرأ كتابـاً جيِّـداً ثـلاث مرات أنفع لك من أن تقرأ ثلاثة كتب جيدة) .

النداء الثالث: لذة العلم والمطالعة

أريد أن أدلكم اليوم على شيء فيه لـذة كبـيرة وفيـه منفعـة كبـيرة وتكاليفه قليلة هل تحبون أن تعرفوا ما هو ؟

هو المطالعة ... ولقد جربت اللذائذ كلها فـما وجـدت أمتـع مـن الخلوة بكتاب . والعلماء وإن كانوا فقراء فـإنهم سـعداء يجـدون لـذة تفوق كل لذائذ الدنيا وأطايبها كان أحدهم إذا أخذتـه هـزة المسائل يقول : أين الملوك من لذة ما نحن فيـه ؟! لـو فطنـوا لقاتلونـا عليـه ! وقيل : من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة ، ومن تـسلّى بالكتـب لم تفتـه

السَّلوة ، وقيل لابن المبارك : من تجالس ؟ قال : أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إني انظر في كتب آثارهم وأخبارهم ، ولذلك فإنهم كانوا يحرصون على تعلم العلم حتى في أحرج الأوقات وأشد الساعات ، لما حضرت ابن المبارك الوفاة ، كان بالقرب منه رجل يكتب له العلم ، فقيل له في مثل هذه الحالة تتعلم ؟! قال : لعل الكلمة التي تنفعني لم تبلغني بعد ، وقيل له : لو أن الله تعالى أوحى أنك ميت المعيشة ما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطلب فيه العلم.(١)

فكاهة هادفة :

اشتكى صاحب صيدلية من عدم شراء الأدوية المنومة وبعد فترة اكتشف أن الناس يستعملون الكتاب والقراءة فيه كحبة للنوم .

قلت : وهذا هو المشاهد في زماننا هذا فإن الشاب إذا حمل الكتاب ترى على وجهه آثار السآمة والملل وبعد قليل إذبه ينعس والسبب في ذلك عدم الرغبة الصادقة في القراءة والاطلاع ، وعلى العكس من ذلك نرى الشباب الصادقين في القراءة والاطلاع وهم القلة يطير

---

(١) من صفوة الأخبار صـ٢٠

النوم من داخل أعينهم وخاصة إذا كان الموضوع الذي يقرأ فيه يهمه .

فهذا الإمام النووي من شدة اشتغاله بالكتب والكتابة نسي أنه لم يتزوج ولم يذكر إلا عندما وصل باب الأنكحة في الفقه .

ويحكى عن أحد العلماء (لعله الإمام عبد الله بن عمر بن يحيى) واقعة حال حصلت له وهو أنه قبل زواجه كان يبحث عن كتاب من الكتب فلم يجده في جميع المكاتب فلما كان ليلة زفافه وضعه أحد أصحابه على السرير فلما دخل هذا العالم إلى غرفته ليلة زفافه ورأى الكتاب انهمك عليه يقرأ فيه ويطالعه إلى الفجر ونسي زوجته بجانبه ونسي حتى أنه تزوج ونسي كل شيء

وهذه الأبيات تنسب للإمام الشافعي رحمه الله تدل على عشقه للعلم والاطلاع : يتكلم عن نفسه قائلاً :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ
وصرير أقلامي على صفحاتها أحلى من الدوكاء والعشاقِ
وألذ من نقر الفتاةِ لدفها نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طرباً لحلِّ عويصةٍ في الدرس أشهى من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدجى وتبيته نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟!

وكان الإمام الزهري شديد الانكباب على كتبه وعلمه حتى أن زوجته تتبرم منه حين تراه منكباً على علمه وكتبه وتقول : والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر .

وهذا المحدث محمد بن أحمد بن مخلد في ليلة زواجه لما دخلت عليه زوجته جلس يكتب الحديث ، فجاءت أمها فأخذت الدَّواة ورمت بها وقالت : هذه أضر على ابنتي من مائة ضرة .[١]

قال الشاعر :

ولكل طالبِ لذَّةٍ متنزهٌ وألذُّ نزهة عالمٍ في كتبه

وقال آخر :

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر :

العلم زينٌ وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيِّدٍ بطل آباؤه نجبٌ كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدبٍ نال المعالي بالآداب والرتبا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا فناء له نعم القرين إذا ما صاحبٌ صحبا

---

١) من صفوة الأخبار صـ٣٠٣

قد يجمع المال شخص ثم يحرمه عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبداً ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ولا تعدلنَّ به دراً ولا ذهبا

قال الشاعر :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

وهذا يا أخي الشاب كل ما مر عليك من أبيات وحكم يقوم مقام (حبة الباندول) في القيام بالتنشيط وإبعاد الملل والسآمة والتعب .

النداء الرابع:أمة لا تقرأ أمة لا ترقى

انظر الفرق بيننا نحن العرب والمسلمين وبين الغرب في القراءة والإطلاع ونحن أمة القراءة وقد وجدنا بعض الإحصائيات في تسعينات القرن الماضي نقلتها مجلة الوعي الإسلامي تقول فيها : أن سكان العرب بحدود ٣٠٠ مليون نسمة موزعون على ٢٢ دولة عربية بلغ عدد الإصدارات الجديدة حوالي ٥٦٠٠ عنوان تأليفاً وترجمة في جميع الدول العربية . نصيب الكتاب الواحد من الأسواق ٥٠٠٠ آلاف نسخة على أحسن الأحوال .

بينما الولايات المتحدة الأمريكية تطبع وحدها مليون ومائتي ألف عنوان كما طبع في أمريكا الجنوبية ودول البحر الكاريبي حوالي ٤٢ ألف عنوان ، في تسعينات القرن الماضي ..

وتشير الإحصائيات الصادرة عن منظمة (اليونسكو) العالمية عن موضوع النشر والترجمة في السنوات الخمس الأخيرة من القرن العشرين : أن الوطن العربي كله قد أنتج أقل من كتاب واحد مترجم في العام لكل مليون نسمة ، في حين أنتجت أسبانيا وحدها ما يقارب ٢٩٠ كتاباً لكل مليون نسمة .... ونؤكد هنا أن ما يحدث اليوم هو عكس ما كان سائداً في العصر العباسي إبان عهد المأمون الذي اعتبر الترجمة وسيلة أساسية لنقل المعارف إلى العالم الإسلامي .

وعن معرض الكتاب العبري (الإسرائيلي) العام ٢٠٠٤ م انقل لكم هذه الإحصائيات :

بلغ عدد زوار المعرض مليون إسرائيلي وبلغ عدد الكتب المباعة ٦٠٠ ألف كتاب ويباع في إسرائيل بشكل عام ٦٣ مليون كتاب سنوياً ، وتصدر إسرائيل سنوياً ٤٠٠٠ عنوان جديد ، ويقرأ المواطن الإسرائيلي حوالي ١١ كتاباً في العام بينما نقرأ نحن العرب أقل من كتاب واحد لكل ١٠٠٠ نسمة .

هجرنا القراءة فهجرنا الترجمة وهجرنا النشر وهجرنا العلم وما بقي لنا من شيء أن نهجره إلا أن ننتظر المصير المظلم . [١]

ملخص إحصائيات المقارنة بين العرب والغرب في القراءة والتأليف :

أوجه المقارنة	العرب	الغرب			
عدد الدول	٢٢ دولة عربية	أمريكا	أمريكا الجنوبية ودول البحر الكاريبي	أسبانيا	إسرائيل
عدد السكان	٣٠٠ مليون نسمة	أكثر من ٣٠٠ مليون		أكثر من ٤٥ مليون	أكثر من ٧مليون
عدد الإصدارات الجديدة	٥٦٠٠ إصدار	مليون ومائتي ألف إصدار	٤٢ ألف إصدار	٢٩٠ إصدار لكل مليون نسمة	٤٠٠٠ إصدار سنوياً

و في الختام........ نسأل الله أن ينهض الهمم وأن يوفق شباب الأمة بالخصوص لحفظ أوقاتهم وصرفها في القراءة والعلم لما فيه مصلحة الأمة، آمين....،،،،،،

١) من مجلة الوعي الإسلامي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
التمهيد	٥
النداء الأول (الجد والاجتهاد والهمة العالية)	٨
مقامة الشيخ علي بن أبي بكر السكران	٨
مقامة بديع الزمان	٨
مقامة الماوردي	٩
مقامة ابن الجوزي	١٠
المقامة السعدية	١١
النداء الثاني: ملكة الحفظ والذكاء	٢٢
حكم	٣٩
النداء الثالث: لذة العلم والمطالعة	٤٠
النداء الرابع: أمة لا تقرأ أمة لا ترقى	٤٤
الفهرس	٤٧